جماليات التطابق والتقابل في (وحي القلم) للرافعي

ستار مصطفى فقي محمد بابان قسم اللغة العربية، كلية التربية الاساسية ،جامعة رابەرين،رانيه،اقليم كردستان، العراق
ئيمەيڵ: star.baban@uor.edu.krd

ملخص البحث:

يعدّ مصطفى صادق الرافعي من أدباء النهضة الحديثة, فهو شاعر ومقالي مشهور, يدافع بمقالاته عن شعبه المظلوم. يتناول البحث (التطابق والتقابل في مقالات الرافعي), خلال كتابه(وحي القلم), المتكون من ثلاثة أجزاء, الذي يزيد عدد صفحاته على ألف صفحة, يبرز خلاله براعة الرافعي في نسق التضاد, وبيان مقدرته الفنية في توظيف الموروث الفكري واللغوي, وسعة إطلاعه على لغته وتراث أمته, مماجعله ان يبدع في هذا النسق البلاغي بإضفاء مسحة جمالية وموسيقية على نصه, يشد به انتباه المتلقي, كي يكون متيقظاً.

يعنى البحث بتحليل النصوص الادبية, مركزا على ما فيها من فنون بلاغية, وظواهر اسلوبية.

يبنى البحث على تمهيد وثلاثة مباحث, ففي التمهيد, يتناول الى مفهوم التضاد. أما في المبحث الأول, فيتطرق الى الطباق(المعجمي والمعنوي), كذلك الى (طباق الإيجاب, وطباق السلب). وفي المبحث الثاني, يتناول(التضاد التقابلي), بنوعيه المعجمي والسياقي. ويتطرق في المبحث الثالث الى نوع آخر, لم يتطرق اليه العلماء والنقاد الأقدمين, ألا وهو الذي يمكن أن يسمى بـــ (التضاد النصي), الذي يتجاوز مطابقة لفظة مع لفظة أخرى, أو جملة مع جملة, أو عبارة مع عبارة أخرى, بل يتعداها الى تضاد نص مع نص, من خلال التعارض والتمايز بين الشخصيات. وينتهي البحث بخاتمة و ملخص باللغتين (الكوردية, والإنجليزية), وقائمة بأهم المصادر والمراجع.

الكلمات المفاتيح هي: التضاد, التطابق, التقابل, وحي القلم.

المقدمة

يعدّ الرافعي حامل لواء الأصالة في الأدب, ورافع راية البلاغة فيه, يتميز أسلوبه بأصالة المعاني والألفاظ, بحيث أن من يقرأ أدبه, يظن أنه عاش معاصراً للجاحظ وابن المقفع وبديع الزمان, فهو شاعر ومقالي, أبدع في الشعر أكثر مما أبدع في النثر, غزير الانتاج و متعدد الأهتمامات. لما كان الإهتمام والعناية بهذا الشاعر والمقالي الكبير, وإبراز دوره في الأدب ضرورياً, وعلى الرغم من توفر أسباب البحث في مادة تخص(التضاد), فإن أحداً ـــ كما أظن ـــ لم يدرسه دراسة أكاديمية, لذا أخذنا على عاتقنا تناول(التضاد)الذي هو جانب بلاغي مهم ذو تأثير كبير على السامع.

يتكون كتاب الرافعي (وحي القلم), من ثلاثة أجزاء, مطبوع في مجلد واحد, يقارب عدد صفحاته من ألف صفحة, حاولنا فيه إبراز براعة الرافعي, في التضاد, وبيان مقدرته الفنية داخل مقالاته.

للتضاد أهمية كبيرة داخل مقالاته, يكشف لنا الكاتب من خلاله عن مشاعره وانفعالاته, و بالمقابل يحفز المتلقي ويشدّه الى مضمون

DOI:https://doi.org/10.26750/Vol(7).No(1).paper10 http://journal.uor.edu.krd/index.php/JUR Vol.7. No.1, January.2020

خطابه, ويتم به كشف المعاني المختفية وراء هذه التضادات. تناولنا ظاهرة التضاد التي تكشف في النص المقالي عن التوتر والعمق والإثارة, وقيام التضاد على الجدل الذي يعني وجود حال تعارض وتناقض وصراع وتقابل بين الشخصيات والمواقف والصور الأدبية, لكسر رتابة النص وجموده بإثارة حساسية القارئ, لما هو غير متوقع من الألفاظ من عبارات ومواقف.

يعتمد البحث على عدد من المصادر والكتب المهمة, منها: كتاب الصناعتين, لأبي هلال العسكري, نقد الشعر لقدامة بن جعفر, معجم المصطلحات البلاغية وتطورها لأحمد مطلوب, خصائص الأسلوب في الشوقيات لمحمد الهادي الطرابلسي, شعرية التضاد لمحمد خليل الخلايلة, ومصادر أخرى قيمة.

يتألف هيكل البحث من تمهيد, و ثلاثة مباحث , مع خاتمة وخلاصة باللغتين الكوردية والانجليزية, مع قائمة بالمصادر والمراجع. نتناول في التمهيد, مفهوم التضاد. وفي المبحث الأول نتطرق الى: التضاد التطابقي(المعجمي والمعنوي وطباق السلب), أما في المبحث الثاني, فيدرس البحث التضاد التقابلي(اللفظي والسياقي), وفي المبحث الثالث, يتطرق الى (التضاد النصي) وهو تجاوز مطابقة لفظتين, أو جملتين, أو عبارتين, بل يتعداها الى تضاد نص, مع نص آخر من خلال التعارض والتمايز بين الشخصيات والمواقف, ويختتم البحث بالخاتمة وملخص باللغتين الكوردية والانجليزية, وقائمة بالمصادر والمراجع.

التمهيد

التضاد:

التضاد, عنصر فعال في تكوين الخلق الادبي, وفي انتاج الدلالة والوصول به الى مستوى اللغة الادبية.

وقف اللغويون العرب, على التضاد منطلقين من مادته اللغوية, فقد جاء في لسان العرب عن الضد, أنه كل شيء ضاد شيئاً ليغلبه والسواد ضد البياض, والموت ضد الحياة, تقول: هذا ضده وضديده, والليل ضد النهار اذا جاء هذا ذهب ذاك ويجمع على الاضداد(ابن منظور, ١٩٩١: ٢٦٣) .

جاء في كتاب التعريفات عن التضاد ـــ أو المطابقةـــ هو : ((أن يجمع بين المتضادين مع مراعاة التقابل)) (الجرجاني, ٢٠٠٣: ٤٨).

هناك مفاهيم أخرى للتضاد, بأنه الجمع بين الشيء وضده....مثل الجمع بين البياض والسواد والليل والنهار (أبوهلال العسكري,١٩٨٦: ٣٠٧), ويخالف البعض هذا الرأي بقولهم: ان التضاد هو, ((مايشترك في لفظة واحدة بعينها))(قدامة بن جعفر, ١٩٨٧: ١٦٢). و جاء عن التضاد, بأنه مرادف للتطابق والتكافؤ, ((أجمع الناس أن المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشيء وضده, في جزء من أجزاء الرسالة, أو الخطبة أو البيت من بيوت القصيدة)) (ابوهلال العسكري, ١٩٨٦: ٣٢٩), ويرى البعض بأن ليس هناك فرق بين التضاد والطباق, والتضاد ((هو التطبيق والتكافؤ والطباق والمطابقة)) (احمد مطلوب, ١٩٨٧: ٢٥٢), وقال قدامة بن جعفر بشأن المقابلة(التضاد): ((هو ان يضع الشاعر معاني يريد التوفيق بين بعضها وبعض والمخالفة , فيأتي بالموافق بما يوافق وفي المخالف بما يخالف على الصحة أو يشترط شروطا ويعدد أحوالاً في أحد المعنيين, فيجب أن يأتي فيما يوافقه بمثل الذي شرطه وعدده, وفيما يخالف بضد ذلك (قدامة بن جعفر, ١٩٨٧: ١٤٧ــ ١٤٨). ويسمي الثعلب, الطباق بمجاورة الاضداد, أنه((ذكر الشيء مع ما يعدم وجوده)) (أحمد بن يحيى الثعلب, ١٩٤٨: ٥٣), فهو يؤكد بضرورة المجاورة, أي وجود شيء يستلزم وجوداً للآخر الذي يليه, فيعدّ التضاد نوعاً من العلاقة التلازمية بين معاني الالفاظ, وربما كانت هذه العلاقة أقرب من الذهن من أي علاقة أخرى, فبمجرد ذكر معنى من المعاني يستدعي المعنى المضاد الى الذهن, ولاسيما ما بين الالوان, فذكر البياض يستدعي في الذهن السواد (محمد داود, ٢٠٠١: ١٩٣).

وما يتعلق بـــ (التضاد النصي), إذ لايكون التقابل في هذا المستوى((تضاداً بين دلالتي كلمتين, أو حتى مجموعة كلمات كما كان من قبل, وإنما إمتدّ ليصبح مقابلة بين مواقف متعارضة, وشخصيات تتصادم إرادتها وأفعالها, فيحتدم الصراع, ويزداد الحدث الدرامي أو القصصي

DOI:https://doi.org/10.26750/Vol(7).No(1).paper10 http://journal.uor.edu.krd/index.php/JUR Vol.7. No.1, January.2020

توتراً تتعمق به دلالته, ويعظم تأثيره)) (شفيع السيد, ٢٠٠٦: ٣٤).

ينتج هذا النوع من التضاد, لوناً من المفارقة, يقابل بعضه بعضاً, فتتقابل الرغبات وتتعارض المفاهيم, فتعرف الاشياء بضدها, وينتج عن تلك التعارضات والتقابلات مفارقة بين ماكان يتوقعه القارئ, أو حسب تعبير ميويك:((حيث يكون مايجري على النقيض مما هو منتظر بإطمئنان)) (دي سي ميوك, ١٩٩٢: ٩٦ــ ٩٧) . ومن أهم وظائف هذا النوع من التقابل النصي, هي((السخرية والتهكم للوصول الى نقد أخلاقي أو تهذيبي, أو لتقويم قيم إجتماعية سائدة)) (محمد العبد, ١٩٧٤: ١٨و ١٦٦), إضافة الى دافع فني وجمالي, لجلب إنتباه المتلقي وإبعاد الغفلة وتشرّد الذهن عنه. والتضاد هذا أوسع من أن يكون تضاداً بين كلمتين, كما في الطباق, وأوسع من تقابل كلمتين أو ثلاث كلمات كي تكون مقابلةً, يتجاوز فيها الى أكثر من جملة أو عبارة, أو عدد من الاسطر, فهو تضاد قائم على أساس تضاد نص مع نص آخر, أو فقرة مع فقرة أخرى, سواء كان داخل مقالة واحدة, أو يكون في مقالة تقف بالضد مع مقالة أخرى للكاتب نفسه, أو لربما يكون نصف الكتاب تضادا مع النصف الاخر من الكتاب نفسه, هذا ماوجدنا بعضها في مقالات مصطفى صادق الرافعي, فبه يشكل ملمحاً أسلوبياً مسرياً في مقالاته.

التضاد ظاهرة شائعة في الادب, لايخلو من المقابلات المتضادة التي هي من خصائص الفكر, فلغة التضاد هي:((إحدى المنابع الرئيسة للفجوة ــــ مسافة التوترــــ وإننا اذا أحسنا إكتناه التضاد وتحديد مختلف أنماطه ومناحي تجلّيه في الشعر, إستطعنا في نهاية المطاف أن نضع أنفسنا في مكان هو الأكثر إمتيازاً وقدرة على معاني الشعرية, وفهمها من الداخل, وكشف أسرارها)) (كمال أبوديب, ١٩٨٧: ٤٥), . والمفيد ذكره ان((الخصيصة التي تمتلكها اللغة في الخلق الشعري ليست التوحد والتشابه بل المغايرة والتضاد)) (م, ن:٤٩).

توجد قيمة داخلية للتضاد داخل سياق النص, حيث((تشكل بنية التضاد خلخلة في بنية اللغة التي تصبح قائمة على المخالفة والمصادمة, ولكن هذه الخلخلة كفيلة بإيقاظ القارئ واستنفاره, كما أنها قد تقود الى اليقظة لمواجهة مثل هذه الظاهرة الاسلوبية بشكل يحقق فيها اتصالاً مع النص المدروس)) (موسى ربابعة, ٢٠٠٠: ١٥٠), كما تضفي التضادات على النص الادبي قيمة فنية تزيده توازنا وايقاعا جميلاً((معتمدة في ذلك على التقابل والتوازي المعنوي عن طريق التضاد بين الالفاظ والجمل.... فيكون التحسين في اللفظ والمعنى معاً)) (عبد الواحد حسن الشيخ, ١٩٩٩: ٥٠), بحيث أن الكاتب المعاصر قد استغنى عن الطريقة المباشرة في إيصال أفكاره ومشاعره, ولجأ الى التصريح بها بواسطة ما يعادلها موضوعيا من عناصر الطبيعة أو مايرتبط بها, لذلك على المتلقي أن يكون متنبهاً يقظاً, دقيق الملاحظة, ليدرك الحالة النفسية التي طغت على الكاتب وسيطرت على أفكاره, الى جانب ذلك لـ((ظاهرة التضاد دلالة سيميائية, من حيث كونها تثير حركة ديناميكية في السياق النصي, وتجعل تفاعل المعاني والاخيلة والاحداث والاشخاص محققاً في جوهر واحد يمثله المعنى, مما يسمح بإعادة ترتيب بنية النص وجعله أكثر تكاملاً وانسجاماً)) (نعمان بوقرة, مجلة الجذور, ع١٢, السنة السادسة: ٥٣٥).

يعدّ التضاد خروجاً عن مألوف اللغة, فهو مثير أسلوبي, وينجم عنه إثارة الوعي لدى المتلقي, فتدفعه للبحث عن أسرار اللغة ومعانيها. والتضاد القائم على علاقات الكلمة ضمن النص, عنصر مهم من عناصر الشعرية التي تجمع المرسل والرسالة والمرسل اليه, الذي يبحث عن جمالياتها, حيث أن لغة التضاد تتمثل لأحد منابع الفجوة (كمال ابوديب, ١٩٨٧: ٤٥) .

ولاشك أن جدليات النص تنتج بدورها مسافات للتوتر, قادرة على توليد الاضداد وتشكيلها في البنى النصية, وتبدو هذه الاضداد بمستوياتها الحضورية كافة مالكة لخاصية المراوغة التي تستوجب كفاءة معرفية من لدن المتلقي لفك شيفراتها الجدلية (محمد خليل الخلايلة, ٢٠١٥: ٨٥). ويدرك الرافعي جيداً الابعاد الجمالية للتضاد, لذا نتحدث عن التضاد التطابقي (اللفظي والمعنوي, السلبي والايجابي), ومن ثم (التضاد التقابلي اللفظي والسياقي), وكذلك نتطرق الى تضاد آخر سميناه بـ (التضاد النصي), الذي يعدّ خروجا عن المألوف.

DOI:https://doi.org/10.26750/Vol(7).No(1).paper10 http://journal.uor.edu.krd/index.php/JUR Vol.7. No.1, January.2020

المبحث الأول

التضاد التطابقي:ـــــ

ان التضاد التطابقي, بالمفهوم الحديث يقابل مفهوم الطباق عند البلاغيين, ويندرج تحت علم البديع ضمن المحسنات المعنوية. و في اصطلاح البلاغيين((هو الجمع بين المتضادين, أي معنيين متقابلين في الجملة)) (الخطيب القزويني, ٢٠٠٨: ٢٣٨) . وهذان المعنيان يتنافى وجودهما معاً في شيء واحد وفي وقت واحد.

أولاً: التطابق اللفظي: ـــ

الطباق نوعان, طباق الايجاب وطباق السلب, أما طباق الايجاب فهو الجمع بين الكلمة وضدها((وهو ما لم يختلف فيه الضدان إيجاباً وسلباً....وثانيهما طباق السلب: فهو ما اختلف فيه الضدان ايجابا وسلبا بحيث يجمع بين فعلين من مصدر واحد, أحدهما مثبت والآخر منفي تارة أخرى في كلام واحد)) (السيد احمد الهاشمي, ١٩٨٧: ٣٦٧) .

نجد هذا النوع من الطباق في كثير من مقالات الرافعي, ففي قوله :((فتضلُ كل طبقة من الأمة بكبرائها, ولاتكون الأمة على هذه الحالة في كل طبقاتها الا صغاراً فوقهم كبارهم, وتلك هي تهيئة الامة للإستعباد متى أبتليت بالذي هو أكبر من كبارها؛ ومن تلك تنشأ في الأمة طبيعة النفاق يحتمي به الصَغر من الكبر, وتنتظم به ألفة الحياة بين الذلّة والصّولة)) (مصطفى صادق الرافعي, ٢٠١٥: ٦٢) . وقع التضاد التطابقي, في ألفاظ(صغاراً, كبارهم), و(الصِغر , والكِبَر), وهي مطابقات لفظية مهيئة للكاتب من قبل المعجم, إلا أن القارئ, يلحظ موسيقى داخلية تسري في عروق المقالة خلال التضادات اللفظية, والكلمات المشتقة من جذر واحد مثل:(كبرائها, كبارهم, أكبر من كبارها) و(صغاراً, كبارهم), و(الصغر والكبر), والسجع الواقع في كلمتي (الذلّة, والصولة), هذه المسحة الجمالية والموسيقية الناتجة عن التضادات وتكرار الالفاظ المشتقة من جذر واحد, ومن السجع, تضفي رونقاً وجمالاً الى النص تجلب إنتباه المتلقي, وتدفع الملل عنه, والاستمرار معه الى نهاية المقالة والى عدم تشرّد ذهنه.

وقال الكاتب أيضاً:((لا ياربّ؛ أجوع يوماً فأدعوك, وأشبع يوماً فأحمدك, وكأن يقول في دعائه ويكثر منه: اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً وأحشرني في زمرة المساكين)) (الرافعي, ج ١, ٢٠١٥: ٥١) . فقد طابق الكاتب بين (أجوع و أشبع), وكذلك بين(أحيني و أمتني) والطباق هنا لفظي, أضاف به الكاتب الى مقالته, موسيقى داخلية عذبة تسري داخل المقالة من خلال تكرار كلمة(مسكيناً)مرتين, مع(المساكين), وتكرار لفظة(يوماً)مرتين, والتضاد التطابقي, مما يجعل من المتلقي أن يصغي اليه بإستمرار ويظلّ معه الى نهاية المقالة, ويجعل منه منتبهاً يقظاً غير مشرّد الذهن. وفي مقطع من مقالة:((...والواقع هو الجديد في الادب, ولقد أرادوك تلميذاً هرّاً, فكنت في إجابتك أستاذاً, ووافقت السنانير وخالفت الناس)) (م, ن: ٤٥) . جاء الكاتب في هذا النص, بطباق الايجاب بين لفظتي(تلميذاً واستاذاً), و(وافقت, و خالفت), فالطباق هنا جاء لفظياً(معجمياً), من ألفاظ جاهزة هيئتها اللغة والمعجم.

و يأتي الكاتب:((أليس لجهنم حق في كبار أهل الفن, كما للجنة حق في نوابغه؟واذا قالت الجنة: هذه فضائلي البليغة, أفلا تقول الجحيم: وهذه بلاغة رذائلي)) (م, ن:٤٧) . يتطابق الكاتب إيجاباً بين ألفاظ مهيئة من لغته (جهنم, جنة), و(فضائلي, ورذائلي), إعتمد الكاتب هذه الكلمات الضديّة على ماهو موجود في معجم العربية. وقوله:((يا صاحبي, ان عليك من لحمك ونعمتك علامة أسرك, فلا يلقانا أول طفل إلا أهوى لك فأخذك أسيراً, وأهوى عليَّ بالضرب لأنطلق حرّاً, فأنت على نفسك بلاء, وأنت بنفسك بلاء عليَّ)) (م, ن: ٥٠) , جاء الكاتب هنا بطباق إيجاب, فقد طابق بين(أسيراً و حرّاً), و(على نفسك بلاءٌ و بلاء عليَّ), والطباق معجمي هنا ايضا. وفي هذا المقطع:((وخيل الي ان النواميس الطبيعية قد إختلّت في جسمي إما بزيادة وإما بنقص ؛ فأنا لذلك أعظم أمامها مرّة وأصغر مرّة)) (م, ن:٩٠) , وقع الطباق بين(زيادة ونقص), و(أعظم وأصغر), والطباق لفظي لأنه جاء الكاتب بها وهي كلمات جاهزة من خلال معجم لغته. ويأتي الكاتب بالتضاد التطابقي اللفظي, في قوله:((.... ولاتناله المعاني النفسية التي تعلو بعرض من الدنيا وتنزل بعرض....كان يتقلب بين البعيد والقريب من طمع أدرك أو طمع أخفق)) (م,ن, ج٢: ٤٤) . فالطباق اللفظي وقع في ألفاظ,(تعلو وتنزل), وكذلك في(أدرك وأخفق), و(البعيد والقريب),

DOI:https://doi.org/10.26750/Vol(7).No(1).paper10 http://journal.uor.edu.krd/index.php/JUR Vol.7. No.1, January.2020

من خلال هذه التضادات والتوازيات, تمكن الكاتب من جلب إنتباه القارئ بإضفائه مسحة جمالية أحدثتها موسيقى التضادات .

وفي هذا المقطع:((لاجرم ان تكون العنزة فيلةً في أمة من العظاء, فقد قالت العلماء:أنه لا كبير إلا بصغير, ولا قوي إلا بضعيف, ولا طاغية إلا بذليل)) (م,ن: ٢٠٩) . وقع التضاد التطابقي في ألفاظ(كبير, صغير), و (قوي, ضعيف), و (طاغية, ذليل), وهي ألفاظ هيئتها للكاتب اللغة والمعجم العربي, مع الاحساس بوقع موسيقي جميل وعذب للتضادات والتوازيات تسري داخل النص لأجل شدّ انتباه القرّاء وتجنبها تشرّد الذهن والغفلة , وعدم الانتباه.

ونلاحظ في هذا المقطع:((رجلي حكومة يعملان في ديوان واحد, وكانا في عيشهما أخوي جد وهزل,وفضائل ورذائل, يجتمعا دائما إجتماع السؤال والجواب, فلا تنقطع وسيلة أحدهما من الآخر, وكأن بينهما في الحياة الابتسامة من الابتسامة, والدمعة من الدمعة)) (م, ن, ج٣: ٥٤) . وأنت تقرأ هذا المقطع من المقالة بضربات الايقاع والموسيقى العذبة تمتع الآذان والاسماع, بها يشدّ الكاتب من انتباه المتلقي بأن يكون يقظاً ومنتبها لكلامه فهو يزيد من الموسيقى خلال التضادات(جدّ وهزل) و(فضائل ورذائل), و (سؤال وجواب)و (أحدهما و الآخر). والتكرار للالفاظ في(الابتسامة من الابتسامة, و الدمعة من الدمعة)كي يبقى معه القارئ الى نهاية المقالة, والتضادات تأتي من خلال ألفاظ معجمية, لذا تعدّ من التطابق اللفظي.

ثانياً: الطباق السلب:ـــ

يأتي الكاتب بطباق السلب:((فطعمت منها لذةً وان لم أطعم لحماً.... لو أنه يوم ولدلم يلد..... لايبالي مايعرفه منها وما لايعرفه..... وطاف على نكبات الامراء والسوقة بما يعي وما لايعي)) (الرافعي, ج١,: ٥٠ــ ٦١ــ ٦٣ــ ٨١) . وقوله:((ان أطعموه أكل وما أطعمه قبل, ...بل هو انتزاع من الحوادث بالاخلاق التي تتغلب على الازمات ولا تتغلب الازمات عليها..... ومن معجزات القرآن الكريم, أنه يدخر في الالفاظ المعروفة في كل زمن حقائق غير معروفة لكل زمن فيجليها لوقتها....ولابدّ للمرأة من ظاهر غير ظاهر الحجر لتكون به مرآة))(م، ن, ج٢: ٥٠ــ٥٣ــ ٦٢ــ٧٨). وكذلك:((ويطلب لصناعته من حيث أدرك وعجز, ومن حيث كان ولم يكن....الكون في نظر النبي آية الحكمة لا آية الفن,ومنظر المستيقن لامنظر المتخيل....تمتد في ضوئها من المنظور الى غير المنظور... من حيث يدري ولا يدري لإثبات ان غير المستطاع مستطاع)) (م، ن, ج٣: ٨ــ٢١ــ٢٦ــ٤١) . يكرر الكاتب ألفاظه(طباق السلب) خلال الاتيان باللفظة ونفيها,(طعمت, لم أطعم), (ولد, لم يلد), (يعرفه, لايعرفه), (يعي, لايعي), (أطعموه, ما أطعموه), (تتغلب, لا تتغلب), (المعروفة, غير المعروفة), (ظاهر, غير ظاهر), (كان, لم يكن), (آية الحكمة, لا آية الفن), (منظر, لامنظر), (يدري, لايدري), (غير المستطاع, مستطاع). جاء الكاتب بطباق السلب هذا كله, وأضفى به مسحة جمالية وموسيقية, على نصوصه بتكرار الكلمة ونفيها , حيث أن وظيفة التكرار هو إحداث موسيقى داخل النص, وإثبات الامر(كما يقول النحويون) في ذهن السامع وتوكيده, وكذلك الموسيقى الآتية الناتجة عن إيقاع السجع في نهاية بعض فقراته,(لذةً, ولحماً), و(أكل, وقبل), إضافة الى الموسيقى الصادرة عن التضادات من الطباق السلب والإيجاب والطباق المعنوي(المستيقن, المتخيل), وأن الطباق السلب هو تكرار للألفاظ, والتكرار ينتج عنها موسيقى داخلية, والتكرار هنا سلباً أو إيجاباً, يسبب في إحداث موسيقى يمتع الاذن والسمع, وبشكل يجلب إنتباه المتلقي, ويجعل منه متيقظاً ومنتبها للكاتب حتى نهاية المقالة.

ثالثاً: التضادالتطابقي المعنوي:ـــ

في هذا النوع من الطباق , لايخضع الكاتب لضغوطات معجمية, كونه يستتجيب لملكته الخاصة في الإبداع الادبي, وكذلك الى ثروته اللغوية الواسعة التي تسعفه دائماً في الإتيان بألفاظ مترادفة عند الحاجة, ان دلّ هذا على شيء فإنه يدل على مدى موفقية الكاتب في تحقيق تجانس موسيقي (حامد أحمد محمد الشيمي, ٢٠٠١: ٤١ــ٤٢) . هذا النوع من الطباق يشكل ملمحاً أسلوبياً, لدى الرافعي, كونه يخرج على النمط المألوف الى نمط تطابقي, آخر يترك الاحتكام فيه للقارئ, الى تأويل الالفاظ لأجل كشف أضدادها المخفية, فيتطرق الى ألفاظ أخرى غير جاهزة (غير معجمية) بالضد للألفاظ التي هيأتها اللغة والمعجم العربي, في مقطع من مقالة له:((...وينظر ابن الأمير؛ فاذا هو بعد ذلك

DOI:https://doi.org/10.26750/Vol(7).No(1).paper10 http://journal.uor.edu.krd/index.php/JUR Vol.7. No.1, January.2020

صعلوك أبتر معدم رّث الهيئة كذلك شحاذ)) (الرافعي, ج١ ,٢٠١٥: ٧٩). يقع الطباق في (ابن الأمير) و (الصعلوك, معدم, رث الهيئة, شحاذ), والطباق هنا طباق معنوي, لأن (ابن الأمير) يتطابق لفظياً ومعجمياً مع (ابن المأمور), وجيء بـــ(الصعلوك) ومرادفاتها(معدم, رّث الهيئة, شحاذ), حيث أن المتلقي هنا يقوم بتأويل الالفاظ بغية كشف تضاداتها المخفية.

ابن الأمير

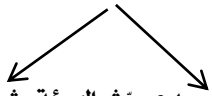

ابن المأمور الصعلوك, معدم, رّث الهيئة, شحاذ

وهنا:((فتراجعت فيه ملكات الحرب من فتح الارض الى شراء الارض, و من تمشيد الامارات الى تشييد العمارات, و من ادارة معركة االابطال الى إدارة المال, وغير دهره يملك ويجمع حتى أصبحت دفاتر حسابه كأنها خريطة مملكة صغيرة)) (الرافعي, ج١, ٢٠١٥: ٧٦) . نلحظ وجود موسيقى داخلية عذبة, جعلت من المتلقي ان ينتبه الى المقالة وان تجنبه الغفلة, فأتى الكاتب بالسجع في نهاية الفقرات(الارض,الامارات, العمارات, الابطال, المال), والسجع هذا أضفى مسحة جمالية وإيقاعاً على النص, به يجعل من القارئ أن ينتبه ويجنبه تشرّد الذهن والغفلة. يقع الطباق المعنوي بين(فتح الارض, وشراء الارض), حيث ان العرب فتحوا وغزوا البلدان لأجل نشر الدين الاسلامي, لا لأجل جمع الاموال والثراء. كذلك (تمشيد(فتح)الامارات), يختلف عن(تشييد العمارات), حيث ان الفتح كان يجري لأجل نشر الدين الاسلامي السمح, لا لأجل شراء الأراضي والمصالح وتشييد العمارات, الا ان بعض الامراء المسلمين, قاموا بالفتوحات لأجل جمع الاموال ومصالحهم الخاصة, كما يحدث الآن لبعض المسؤولين العراقيين شمالا وجنوباً, وهم منهمكين بجمع الأموال وسرقة قوت الشعب, والقيام بالفساد المالي على حساب الفقراء والمعوزين. يأتي الكاتب بهذه الالفاظ, ولايخضع في هذا النوع من الطباق الى ضغوطات المعجم واللغة, وهذا يدل على إلمامه باللغة العربية, وتراث أمته الضخم.

المبحث الثاني

التضاد التقابلي:

أولاً: التضاد التقابلي المعجمي: ـــ

من الملاحظ ان التضاد التقابلي, هو من أكثر الفنون البلاغية إستخداماً لدى الرافعي, فلا تخلو منها صفحة من صفحات مقالاته.

تأتي التقابلات لدى الكاتب, ليعبر بها عن مشاعره, وآرائه وأفكاره, ففي قول الكاتب:((...نائمة في صورة ميتة, أو كميتة في صورة نائمة)) (الرافعي, ج١, ٢٠١٥: ٦٩) . يتحدث الكاتب عن غلام وأخته, اللذين يفترشان الرخام البارد, ويلتحفان جواً رخامياً في برده وصلابته على جسميهما, هما فقيرين لا يمتلكان من حطام الدنيا شيئا, فيصفهما, ويصف الفتاة, وكأنه يرسم صورة كاريكاتيرية لها بألفاظ متضادة, فهي (نائمة في صورة ميتة, أو ميتة في صورة نائمة), مما يدل على مدى ترحم الكاتب على فقراء بلده, وعطفه عليهم, وانتقاده الشديد وسخريته للحكام الذين تسببوا في هذا الفقر المحدق. فالتضاد التقابلي هذا, تعبير عن مشاعر الكاتب, ودلالة على ثرائه الفكري واللغوي.

وقوله:((من هذه النفوس العجيبة التي تأخذ الضدين بمعنى واحد أحياناً, فيسرّها مرّة ان تحزنها وتستدعي غضبها, ويحزنها مرّة أن تسرّها وتبلغ رضاها)) (الرافعي, ج١, ٢٠١٥: ٨٨) . يأتي التضاد التقابلي, في قوله, فيسرّها مرة ان تحزنها وتستدعي غضبها, ويحزنها مرة ان تسرّها وتبلغ رضاها, فهي تقابل لفظي جميل, اذ نراه يستخدم, ايقاع التضادات(يحزنها, تسرها), والطباق(غضبها, ورضاها) والاسجاع(غضبها, ورضاها, يحزنها, ويسرها) لشدّ إنتباه القارئ, وتجنبه الغفلة وتشرد الذهن.

وكلامه:((... ويحب منها ما كان ينبغي ان يباغضه فيها. وكل ما رأيتَ وعلمتَ في رجلٍ, قوته القوة فهو هناك؛ وكل ما علمتَ ورأيتَ في أنثى, قوتها الضعف فهو هنا)) (الرافعي,ج٢, ٢٠١٥: ٥٢) . جاء التضاد التقابلي اللفظي, (كل ما رأيت وعلمت في رجل قوته القوة, و وكل ما علمت ورأيت في أنثى, قوتها الضعف), ليبين حالة التناقض بين الرجل والمرأة, وهذا التناقض تتيحه اللغة والمعجم العربي. ويستمر

DOI:https://doi.org/10.26750/Vol(7).No(1).paper10 http://journal.uor.edu.krd/index.php/JUR Vol.7. No.1, January.2020

الكاتب في المقالة نفسها((رأيت اذن ان قيمتك الصحيحة في ان تكون وسيلة تعطى وتعمل لتعطى, لا غاية تأخذ وتعمل لتأخذ, مهما ضيّق عليك فإنما أنت كالشجرة الطيبة تأخذ تراباً وتصنع حلاوة)) (م, ن:٥٥). يأتي الكاتب بتضادات (تعطي لتعطى)مع (تأخذ لتأخذ), ليعبر خلالها عما يريد ايصاله الى المتلقي, والتضاد هذا جاء من وعي الكاتب بها, تم إختياره من لدن الكاتب ليضفي دلالة جديدة على كلامه, بغية التأثير في القارئ ولفت نظره الى الامر الهام. فبهذه المقابلات تمكن من الكشف عن نفسية بعض الناس الذين لا ينفقون أموالهم ولا يعطوها للمعوزين والمحتاجين, فالذي ينفق ماله ويعطيها للفقراء, كالشجرة الطيبة التي تصنع من التراب الحلاوة. و(التراب والحلاوة), هنا تضاد معنوي, يفهم من سياق الكلام, حيث ان التراب لا طعم له, بل الشجرة الطيبة تحولها الى مادة ذو طعم لذيذ, فمن خلال المشبه والمشبه, به تمكن من إضفاء دلالة جديدة على نصه وتمكن به من السيطرة على إهتمام القارئ .

وفي هذا المقطع :((...ويزعم ان الوعظ وعظ الفقهاء, يقولون: هذا حرام فيكون حراماً لا يقارفه أحد, وهذا حلال فيكون حلالاً لا يتركه أحد. ....كأنه آت من الجنة منذ قريب, راجع اليها بعد قريب)) (م, ن: ١٧٤ــ ١٧٥) . يأتي التضاد في قوله(هذا حرام فيكون حراماً), و (هذا حلال فيكون حلالاً), وكذلك في(آت, و راجع), و (منذقريب, و بعد قريب), رتبها الكاتب على شكل مقابلة لفظية, مأخوذة من المعجم اللغوي, وصنع منها موسيقى عذبة خلال السجع الناتج عن كلمتي (حراماً و حلالاً), يجذب بها انتباه المتلقي ويشجعه على الاستماع اليه.

وقال أيضاً:((وكل ما شرحناه فهو اتقاء ضرر لجلب منفعة, وإتقاء رذيلة لجلب فضيلة؛ وبهذا التأويل تتوجه الآية الكريمة جهة فلسفية عالية.... وجعل الكبير فيهم كبيراً وان صغرت معانيه, والصغير فيهم صغيراً وان كبر في المعاني, وبهذا تموج الحياة بعضها في بعض)) (م, ن:١٧٨) . حصلت المقابلة بين الجمل(إتقاء ضرر لجلب منفعة), (إتقاء رذيلة لجلب فضيلة), وبين الجملتين(الكبير فيهم كبيراً وإن صغرت معانيه ـــــ والصغير فيهم صغيراً وإن كبر في المعاني). إضافة الى تكراره لـ(الكبير, كبيراً وان صغرت), و (الصغير صغيراً وان كبر), تسري خلال التقابلات المعجمية والالفاظ المكررة موسيقى جذابة, تنسجم مع مناسبة المقالة, وتجلب معها إنتباه المتلقي, ويزداد التأثير فيه. كذلك نلاحظ موسيقى داخلية تسري داخل النص خلال التكرار(الكبير, كبيراً, صغرت), و (الصغير, صغيراً, كبرت), مع السجع الناتج في نهاية الفقرات والجمل(صغرت, كبرت), (فضيلة, رذيلة), مما يؤدي الى إضفاء مسحة جمالية على النص, ليظهر مدى براعة الكاتب وإبداعه الرائع, والذي يجعل من القارئ ان يكون متيقظاً ومنتبهاً للنص بإستمرار, وبهذه الموسيقى الداخلية يتم إثراء الاسلوب الذي يأتي عن طريق الاحساس بوجهي التضاد, الذي هو من لوازم الصنعة الشعرية, وهي مولدة للشعرية مجسدة الفجوة (أحمد مطلوب, ٢٠٠٢: ١٨٨) . إضافة الى القيمة الدلالية, حيث ان التضاد هنا ساعد الكاتب, على إبراز التناقض بين المتضادتين اللتين تشكلان تعارضاً تصويرياً وموسيقياً ودلالياً.

ثانياً: التضاد التقابلي السياقي

يكشف هذا النوع من التضاد خلال السياق, حيث يجد الكاتب منفذاً كي يظهر فيه براعته وعبقريته خلال قريحته في الابداع, فلا يقف الكاتب عند الإتيان بعبارات وجمل يقابلها ألفاظ جاهزة في اللغة والمعجم, فيأتي بألفاظ وجمل أخرى تقابلها عبارات وجمل أخرى جديدة, فلا يلتزم بما هو موجود في المعجم أو اللغة, ويقوم بتوسيع دلالات التضاد لأجل الإتيان بدلالات جديدة. يعرف هذا النوع من التضاد لدى النقاد والادباء بالتقابل السياقي, الذي بالنسبة الى الكاتب هو((لايخضع لضغط المعجم المشترك بقدر ما يستجيب لملكته الخاصة في الخلق الفني)) (محمد الهادي الطرابلسي:١٠٢) .

ليس من السهل إخضاع التضادات السياقية الى قوانين لتضبطها, إلا إننا نحاول الاشارة, الى إيجاد ضد قريب منه في المعنى. وهذا النوع من التضاد, نجدها بكثرة في مقالات الرافعي.

ورد في مقطع من مقالة للكاتب:((تقابل قطان: أحدهما سمين تبدو عليه آثار النعمة, والآخر نحيف يدل منظره على سوء حاله؛ فماذا يقولان إذا حدّث كل منهما صاحبه عن معيشته؟)) (الرافعي, ج١, ٢٠١٥: ٤٤) . يقابل الكاتب بين قطين, ويقصد من وراءها حياة الانسان في وطنه, لم يأت الكاتب فيها بلفظة يقابلها لفظة جاهزة من اللغة, بل يأتي من خلال إطلاعه الواسع على اللغة العربية بلفظ آخر

DOI:https://doi.org/10.26750/Vol(7).No(1).paper10 http://journal.uor.edu.krd/index.php/JUR Vol.7. No.1, January.2020

قريب من معناه بغية توسيع الدلالة وإضفاء دلالة جديدة. فقد قابل بين(أحدهما سمين تبدو عليه آثار النعمة), و بين(والآخر نحيف يدل منظره على سوء حاله). فعبارة (تبدو عليه آثار النعمة), لا تتطابق مع (يدلّ منظره على سوء حاله) لفظياً أو معجمياً, وإنما تتضاد معها سياقياً أو معنوياً, يهدف الكاتب من وراء ذلك الإيحاء الى معان جديدة من خلال الخروج عن المعجم, فقد قام بإتيان عبارة قريبة للعبارة الاولى في المعنى, فعوضها بالآخر, حيث أن تكرار الالفاظ اللغوية يسبب في ملل القارئ, فلكي يتفادى هذا الملل, يعوض عنها بمعنى قريب للفظها اللغوي, بغية توسيع مجال الحديث وتحقيق الظاهر منه عن طريق الإيحاء بالباطن. وهذا دليل على مدى نجاحه في حشو كلامه بالإيقاع الداخلي وإضفاء دلالات جديدة.

وفي مقالة أخرى:((إذا كانت الحياة في الحقيقة فلا تكن انت في الكذب, واذا كانت الحياة في الرجولة البصيرة, فلا تكن في الطفولة النزقة, فإن الرجل يعرف ويدرك, فهو بذلك وراء الحقيقي, ولكن الطفل يجهل ولا يعرف الدنيا الا بعينيه, فهو وراء الوهم...)) (م, ن, ج٢: ٤٦). لم يلتزم الكاتب في هذا التضاد باللفظ المهيأة من قبل اللغة أو المعجم, بل يتطرق الى معاني أخرى مرادفة لها, أو قريبة لها من حيث المعنى. تأتي المقابلة السياقية لديه في ألفاظ (الرجولة البصيرة), و (الطفولة النزقة), و (فإن الرجل يعرف ويدرك فهو بذلك وراء الحقيقي), و (لكن الطفل يجهل ولا يعرف الدنيا...فهو وراء الوهم). كلمة (الرجولة)تضاد مع (الانوثة), الا ان الكاتب أتى بلفظة أخرى من عنده فهي (الطفولة), وذلك لإضفاء دلالة جديدة على نصه. كما وضحناه في الخطاطة الآتية:

وجاء بكلمة(يعرف ويدرك), ويقابلها بلفظة(يجهل و لايعرف), وبلفظة(الحقيقي), و (الوهم). حيث التضادات هنا سياقية وليست معجمية كما هو مبين في الخطاطة الآتية:

والمعلوم لفظة(يجهل)تتطابق مع(يعلم), وليس مع(يعرف), وكذلك(يدرك)لا تتطابق مع(لايعرف), الا ان الكاتب فعل هذا, لإثبات مقدرته اللغوية والمعرفية, فقد قام بإنتقاء وإختيار ألفاظ وجعلها تقابلات سياقية, لأجل التوسع من دلالة النص التي لم يصل اليها خلال تقابلات معجمية, حيث ان المقابلة السياقية تعوض المقابلة المعجمية, فالكاتب يفعل هذا بالالفاظ الجديدة والتلاعب بها لفرض إحترامه على المتلقي وجعله متيقظاً الى الاخير ودفع الملل عنه, وكذلك فالكاتب يأتي بطباق سلب في لفظة (كانت, لاتكن), و(يعرف, لايعرف), مما زاد من إضفاء مسحة جمالية على النص.

والمقطع هذا:((وقد أصبح من تهكم الحياة بأهلها لن يكون الفقير فقيراً وهو يعلم أن صناعته في المدينة عمل الغني للأغنياء....وإن يكون الغني غنياً, وهو يعلم أن عمله في المدينة صنعة الفقير لضميره)) (الرافعي, ج٢: ٤٥) . أنها مقطع مقالي مطرز بفن التقابل والتكرار, يأتي الكاتب بألفاظ تقابلية لم تكن جاهزة من قبل اللغة أو المعجم, بل جاء من خلال إطلاعه على اللغة بألفاظ قريبة المعنى لها, بغية توسيع الدلالة وإضفاء دلالات جديدة, فقد قابل سياقياً بين (ان يكون الفقير فقيراً وهو يعلم أن صناعته في المدينة عمل الغني للأغنياء) مع (وأن يكون الغني غنياً وهو يعلم ان عمله في المدينة هو صنعة الفقير لضميره), اذن المقابلة هذه لم تأت خلال ألفاظ جاهزة من لدن اللغة وإنما أتى بها الكاتب من خلال إطلاعه ومقدرته على اللغة وعلى التراث. يأتي الكاتب بمعان منسجمة ومتلائمة في جمل على شكل توازيات

DOI:https://doi.org/10.26750/Vol(7).No(1).paper10 http://journal.uor.edu.krd/index.php/JUR Vol.7. No.1, January.2020

مستوية المقادير, لأجل الاتيان بمعان جديدة لم يستطع الوصول اليها خلال التقابلات اللغوية, وهذا لا يحصل الا لكاتب متمرس ومطلع على تراث الأمة ولغتها. ويكرر الكاتب ألفاظ مشتقة من اللفظة نفسها(الفقير فقيراً), و (الغني للأغنياء), و (الغني غنياً), وبحسب النحويين فإن التكرار يفيد تثبيت الكلام وتوكيده في ذهن السامع.

في هذا المقطع: ((وفي رأي(عصمت)ان أباه من علو المنزلة كأنه على جناح النسر الطائر في مسبحه الى النجم, أما آباء الأطفال من الناس فهم عنده من سقوط المنزلة على أجنحة الذباب والبعوض)) (م, ن, ج١: ٦١) . يقارن الكاتب بين نوعين من الاطفال(ابن الباشا), و(ابن الفقير), فعصمت هو(ابن الباشا), الذي يرى منزلة أبناء الفقراء, منزلة سفلى, فيقابل بين النوعين من الاطفال, ويأتي بألفاظ ويقابلها بألفاظ أخرى ليست في لغته ومعجم لغته, الألفاظ(اباه من علو المنزلة كأنه على جناح النسر الطائر في مسبحه الى النجم), و (أما آباء الأطفال من الناس فهم عنده من سقوط المنزلة على أجنحة الذباب والبعوض). فهو يقابل سياقياً بين(أبيه), و(آباء الآخرين), وكذلك(علو المنزلة) و (سقوط المنزلة) و (جناح النسر الطائر) مع (أجنحة الذباب والبعوض), فكلمة(علو المنزلة), لفظياً لاتتطابق مع(سقوط المنزلة), وكذلك(جناح النسر الطائر)لا تتقابل لفظياً مع(أجنحة الذباب والبعوض), إلا أن الكاتب جاء بتضاد قريب من معناه اللفظي, فخرج عن التقيد التام بالمعجم ولجأ الى خزينه العلمي والتراثي, وبه يجعل من القارئ متيقظاً يتوقع ماسيقوله. فقد جاء الكاتب بإختيار عبارات جديدة, ومن ثم قام بتوظيفها, كي لا تستقرّ العبارتان على شكل مقابلة لا تتعارض السياق, وإنما تعينه على الظهور بثوب جديد, ليمتع المتلقي عند وقوفه على التركيب الجديد.

وقوله:((وكنت أراها مرحة مستطارة مما تطرب وتتفاءل, حتى لأحسبها تود أن يخرج الكون من قوانينه ويطيش...., ثم أراها بعد متضورة مهمومة, تحزن وتتشاءم حتى لأظنها ستزيد الكون هماً ليس فيه)) (الرافعي, ج١: ٨٨) . جاءت المقابلة السياقية التي وقعت في ألفاظ غير مهيئة من لدن اللغة(أراها مرحة), (أراها بعد متضورة), و(مرحة مستطارة) و (مهمومة) و(مما تطرب وتتفاءل), و(تحزن وتتشاءم), و (تودّ أن يخرج الكون من قوانينه ويطيش) مع(لأظنها ستزيد الكون هماً ليس فيه), التضادات هذه ليست لفظية وإنما سياقية, أتى الكاتب بألفاظ من عنده, غير مهيئة من قبل المعجم أو اللغة, بذلك, يثبت مقدرته اللغوية ويفرض سيطرته على المتلقي كي يستمرّ معه في الاستماع أو القراءة حتى النهاية.

ثالثاً: التضاد النصي:

يجب أن نقف على هذا الأسلوب كأداة أسلوبية, يوظفها الرافعي, كونها, لون من التقابل على مستوى المواقف التي تتعارض وتتصادم فيها إرادة الشخصيات وأفعالها, فيتصاعد الصراع, وقد يكون الصراع والإحتدام بين الشخصيات لديه على لسان الحيوانات, تفادياً لبطش السلطة, يذكر فيها على لسان الحيوانات, مدى الفرق الشاسع بين طبقات وأفراد المجتمع, طبقة فقيرة لا تملك من حطام الدنيا شيئا وطبقة مترفهة, ويتضمن انتقادات ضمنية للسلطات والحكومة التي تحكم بلده, بأسلوب ساخر وتهكمي للوصول الى نقد أخلاقي وتهذيبي بناء, ولتقويم القيم الفاسدة في المجتمع فهو رجل مثقف ومؤمن يقف دائماً الى جانب الفقراء والمعوزين من أبناء جلدته, بذكره المواقف المتعارضة للشخصيات.

يرى الرافعي وهو يتحدث عن حياة أولاد الأغنياء وأولاد الفقراء, ويقارن بينهما:((أولاء يُرى عليهم أثر الغنى, وتعرف فيهم روح النعمة؛ وقد شبعوا....أنهم يلبسون لحماً على عظامهم؛ أما نحن فنلبس عل عظامنا جلداً كجلد الحذاء, أنهم أولاد أهليهم؛ أما نحن فأولاد الأرض؛ هم أطفال, ونحن خطبٌ إنساني يابس؛ يعيشون في الحياة ثم يموتون؛ أما نحن فعيشنا هو سكرات الموت, الى ان نموت؛ لهم عيش وموت, ولنا الموت مكرراً....)) (م, ن:٧١) . التضاد النصي يقع بين حياة و عيش أبناء الاغنياء وبين أبناء الفقراء. والتضاد هنا ليس معجميا ولالفظياً ولا سياقياً الا أنه يمكن أن يسمى بالتضاد النصي, يصف فيه الكاتب المواقف المتعارضة والمتضادة التي هي, النعمة التي يعيش فيها أبناء الاغنياء, وبالمقابل يصف حياة الفقراء, ويقارن بين الطبقتين الأغنياء والفقراء, يصف أولاد الأغنياء ويسخر منهم بأنهم (يلبسون لحماً على

DOI:https://doi.org/10.26750/Vol(7).No(1).paper10 http://journal.uor.edu.krd/index.php/JUR Vol.7. No.1, January.2020

عظامهم), أما أولاد الفقراء فـــ (يلبسون على عظامهم جلد كجلد الحذاء), وهكذا يصف حياة الطبقتين وما فيها من مفارقة وتباين واختلاف في أسلوب العيش من حيث المأكل والملبس والحياة. ونلاحظ مدى غضب الكاتب, وهو يرى طبقة الفقراء وهم لايملكون من حطام الدنيا شيئا, بحيث تراهم كأنهم كتلة من العظام يكسوها جلد يشبه جلد الحذاء, على عكس الأغنياء والأثرياء وما هم فيها من النعم والإشباع. والتقابل النصي هذا يستمرّ على مدى طول المقالة التي تستغرق أربع صفحات, وهذه رسالة موجهة من الكاتب الى الحكومة يستوضح فيها حال الفقراء والرعية بغية معالجتها, وقيامها بالإصلاح و الإهتمام الأكثر بالمجتمع وعيشهم. فالتقابل لا يقوم على أساس مطابقة لفظة مقابل لفظة أو ألفاظ أو كلمات, بل التضاد هنا قائم على أساس مقابلة بين مواقف متعارضة للأشخاص(الفقراء و الأغنياء), فيتصادم فيها المصالح, ويحتدم الصراع بين هذه الأشخاص, فإزداد خلالها التوتر, وتعاظمت دلالتها وتأثيرها.

ويستمرّ الكاتب في وصف ابن من أبناء الأغنياء وصفاً كاريكاتيرياً, كأنه لوحة فنية, يعرضها أمام القارئ, ولا يخفي سخريته من هذا الولد, فيقول:((ويلي على ذلك الطفل الأبيض السمين, الحسن البرّة, الأنيق الشاردة, ذاك الذي يأكل الحلوى أكل لص قد سرق طعاماً فأسرع يحدر في جوفه ما سرق؛ هو الغني الذي جعله يبتلع بهذه الشراهة, كأنما يشرب ما يأكل, أو له حلق غير الحلوق؛ ونحن ـــ اذا اكلنا ـــ نغص بالخبز لا أدمَ معه, واذا ارتفعنا عن هذه الحالة لم نجد الا البشع من الطعام, و أصبناه عفناً أو فاسداً لا يسوغ في الحلق, فإذا انخفضنا فليس إلا ما نتقمم من قشور الأرض ومن حتات الخبز كالدواب والكلاب)) (الرافعي, ج١ :٧٢) .

يعبر الكاتب في هذا المقطع من المقالة عن رأيه بسخرية تامة لأولاد الأغنياء, بغية إبراز سلبياتهم , يعتمد فيه على سلاح التهكم المستتر المبطن, المفعم بالغمز واللمز والتلميح, ومن خلاله, تمكن الكاتب من التنفيس عن آلامه, وهو يرى أمته تعاني الفقر والجوع والعوز, وفي المقابل هناك طبقة تتمتع بملذات الحياة ولها كل ما تريد, فيكثر الكاتب من المبالغة والتهويل في وصف ذلك الشخص(ابن الثري) وتجسيم مناحي الشذوذ والإسقاط, ويتناول خلاله مفاسد المجتمع وأوضاعه المقلوبة في فكاهاته وسخرياته , محاولاً منه إرضاء المتلقي, وجلب انتباهه, فتقوم سخريته على مفارقات الأمزجة والسلوك الغريب الطريف, فجاءت سخريته للتعريض وفضح هذه المفاسد من خلال مقومات إبراز المفارقات آناً و النقائص آناً آخر. وقد ركز هنا على الذم بما يشبه المدح في كلماته وعباراته الجميلة المنمقة الساخرة المعتمدة كثيراً على المقابلات والفنون البلاغية الأخرى, كالتكرار والسجع والتشابيه والمجاز. فإذن التضاد النصي وقع بين الطفل الأبيض السمين الذي يلبس الملابس الفاخرة الانيقة, و الذي يأكل من الحلوى ماهو أحسن وأحلى, و في الجهة المقابلة تجد الفقراء يتمتعون بصحة رديئة جداً, ليس لديهم ما يلبسونه ويأكلونه, وإذا ماوجدوا أكلاً فأنهم يحصلون عليها من قشور الأرض وما مرمي على القمامات, لا يحسب لهم حساب البشر.

وللكاتب نصوص كثيرة فيها تضاد نصي, منها مقالة(بين خروفين) (م, ن: ٥١) , يتكلم لنا الكاتب على لسان الحيوان(الخروف), فهو يجري مقارنة بين الخروفين, أحدهما خاض تجارب كثيرة في حياته وعيشه, وتعلم من عمره الطويل وتجاربه, بأن لإبن آدم سنة جارية بعد جدنا الأعظم إبراهيم(عليه السلام), فينبغي أن يكون الخروف فداءً لإبن آدم في عيد الأضحى المبارك. والخروف الثاني الصغير السنّ الذي لم يختبر أية تجربة في حياته بعد, فهو لا يصدّق , بأن ابن آدم الذي يخدمه دائماً, ويحتز له الكلأ, ويقدم له العلف أن يذبحه, فلا يصدق بالخروف الأول و يتهمه بالكبر والخرف, يقول الكاتب:((اجتمع ليلة الاضحى خروفان من الاضاحي في دارنا: أما أحدهما فكبش أقرن, يحمل على رأسه من قرنيه العظيمين شجرة السنين, وقد انتهى سمنه حتى ضاق جلده بلحمه, وسخ بدنه بالشحم سُخاً, فاذا تحرك خِلتهُ سحابة يضطرب بعضهما في بعض ويهتز شيء منهما في شيء؛....وهو من اجتماع قوته وجبروته أشبه بالقلعة, ويعلوها من هامته كالبرج الحربي فيه مدفعان بارزان, وتراه أبداً مصعّراً خداً كأنه أمير من الأبطال, اذا جلس حيث كأن شعر أنه جالس في امره ونهيه, لا يخرج أحد من نهيه ولا أمره. أما الآخر فهو جذع في رأس الحول الأول من مولده, لم يدرك بعد أن يضحّى, ولكن جيء به للقرم الى لحمه الغض؛ فالأول أضحيةٌ, وهذا أكولةٌ؛ وذاك يتصدق بلحمه كله على الفقراء, وهذا يتصدق بثلثه ويبقى الثلث طعاماً لأهل الدار)) (م, ن:٥٢) . ويستمر في إجراء المفارقة ويقابل الخروف مع الخروف الثاني, وتتعارض الآراء لدى الخروفين, أحدهما خاض تجارب وتعلم كثيراً من أمور الدنيا وعن نيّات ابن آدم, والثاني لم يخض تجارب ولا يعلم نية ابن آدم حين يخدمه ويقدم له العلف والماء. وهكذا يستمر الكاتب في إجراء المقارنة الضدية

DOI:https://doi.org/10.26750/Vol(7).No(1).paper10 http://journal.uor.edu.krd/index.php/JUR Vol.7. No.1, January.2020

بين الخروفين, بحيث نصف المقالة تقف بالضد مع النصف الثاني منها, ويقول:((فلما أدبر النهار أقبل الليل, جيء للخروفين بالكلأ من هذا البرسيم يعتلفانه, فأحس الكبش أن في الكلأ شيئاً لم يدرِ ماهو, وانقبضت نفسه.....كأنما أدركت هذه الروح أنه آخر رزقه على الارض, فانكسر وظهر على وجهه معنى الذبح.....وكان الصغير قد أنس الى المكان والظلمة, وأقبل يعتلف ويخضم الكلأ, فقال له الكبش:أراك فارهاً يا ابن أخي, كأنك لا تجد ما أجد؛ اني والله أعلم علماً لا تعلمه, وإني لأحس أن القدر طريقه علينا هذه الليلة, فهو مصبحنا ما من ذلك بُدُّ....قال الصغير للكبش: قلت الذبح, والفداء من الذبح؛ فما الذبح؟ فقال الكبش: هذه السنة الجارية بعد جدنا الاعظم, وهي الباقية آخر الدهر فينبغي لكل منا ان يكون فداءً ما الكبش لابن آدم)) (الرافعي, ج١: ٥٦) . ففي هذا المقطع من المقالة يسخر الكاتب ضمنياً من عقلية الخروف الصغير وكيفية تفكيره ووقوفه الى جانب ابن آدم الذي يخدمه ويقدم له العلف والماء, أما الكبش, فهو يرى بأن تقديم العلف والماء والخدمة إنما هي لأجل اللحم والذبح, وهي نصيحة كبيرة ومفيدة لمجتمعه ويطالبه بأن يقف الى جانب شعبه ويفكر بعقله ضد الظلم والطغيان, يشبه عقلية الخروف الصغير بعقلية بعض الشبان من أبناء جلدته الذين لا يفرقون بين الزين والشين من الحكماء الذين يريدون الشباب للحروب والقتال لا لمصلحة الشعب وإنما لمصالحهم الشخصية, فيأتي النسق الضدي خلال خبرة الكبش الكبير التي خاضها في حياته مع الانسان الذي يربيه للحمه فقط, والخروف الصغير الذي لا خبرة له مع الانسان الذي يربيه .

الخاتمة

ـــــ (الطباق والمقابلة) عند الرافعي, جانب بلاغي مهم, بحيث لاتخلو صفحة من صفحاتها وإلا وفيها عدد من التضادات, التي هي علاقات تلازمية بين معاني الالفاظ, فيجمع الشيء وضده, ويدل على التعارض والتناقض والتمايز بين طرفين, يثير إهتمام المبدع وملكته الابداعية وتفكيره, فيعرضه بشكل فني ليمنح النص خلقاً وإبداعاً وحياة, بإضفاء مسحة جمالية خاصة, وموسيقى عذبة على أسلوبه, بحيث يجعل من المتلقي ان يتعمق في المعنى والدلالة, ويجعل منه أن يكون متيقظاً ومنتبهاً, ويبعد عنه التغافل وتشرّد الذهن.

ـــــ ان التطابق والمتقابل(التضاد) بشكل عام لدى الرافعي, واضح و جليّ لايحتاج الى شرح كثير لفهمه, يعبر عن رؤاه وأفكاره, ويؤكد على الجوانب الاخلاقية والاجتماعية لديه, وهي الصور الواقعية الذهنية التي ترسم لنا مواقف الكاتب النفسي التي لاتحتاج الى تكلف في التأويل والتفسير.

ـــــ نتيجة وجود الهوة الكبيرة بين النقيضين في التضاد, يصل المتلقي سريعاً الى الحقائق والكشف عن حسنات ومساويء الأشياء.

ـــــ التضاد لدى الرافعي, يحدث التحسين في اللفظ والمعنى معاً, عن طريق إعطاء النص قيمة فنية وجمالية زائدة كالموسيقى الداخلية والايقاع الملفت للإنتباه.

ـــــ يأتي الكاتب بنوع من التضاد لم يتطرق الى تعريفه النقاد القدماء, والذي يمكن ان يسمى بـــ (التضاد النصي), الذي يتجاوز التطابق اللفظي, والتقابل بين لفظتين أو ثلاثة ألفاظ أو كلمات, بل يتعداها الى مواقف متعارضة ومختلفة بين الشخصيات, وتتمثل في تضاد نصف المقالة مع النصف الآخر, أو مقالة مع مقالة أخرى.

DOI:https://doi.org/10.26750/Vol(7).No(1).paper10 http://journal.uor.edu.krd/index.php/JUR Vol.7. No.1, January.2020

پوختە:

موستەفا سادق ئەلرافعی، بە یەک لە ئەدیبەکانی ڕاپەڕینی نوێ هەژمار دەکریت، شاعیر ومەقالە نووسێکی بەتوانای عەرەبە، لەڕێی نووسینەکانییەوە، بەرگری لە هەژارو کەمدەرامەتەکان دەکات. ناونیشانی تۆێژینەوەکە(نەسەقی دژیەک لە مەقالەکانی ئەلرافعی دا)یە، تۆێژینەوەیەکی شیکاری ڕەخنەگرانەیە، لەسەر مەقالەکانی نووسەر لەکتێبی(وحی القلم)، کە زیاتر لەهەزار لاپەڕە دەبێت، تیایدا هەوڵدراوە، توانای نووسەر لە نەسەقی دژیەک دەربخرێ، نووسەر توانیویەتی کولتورە فراوانەکەی نەتەوەکەی وبیرو هۆش وشارەزاییە زمانەوانییەکەی لەناو نووسینەکانیدا بخاتە گەڕ. لەخوێندنەوەی بەرهەمەکانیدا دەردەکەوێت، کەشارەزاییەکی زۆری لەسەر زمان وکولتووری نەتەوەکەی هەیە، ئەمەش وای کردووە کە داهێنان لە نەسەقێکی ڕەوانبێژی دا بکات، وەک (نەسەقی دژیەک).

نووسەر توانیویەتی موزیک و جوانییەکی هونەری جوان بپڕژێنێتە سەر تێکستەکانی، بەمە توانیویەتی سەرنجی خوێنەرەکانی بۆ لای خۆی ڕابکێشێت و وایان لیدەکات، کەبەردەوام وشیار بن و بەبایەخەوە بەرهەمەکانی بخوێننەوە.

ئەم تۆێژینەوە، دەستپێکێک و سێ تەوەر لەخۆ دەگرێت، لەدەسپێکەکەدا، باسی دەستەواژەی نەسەق و دژیەک دەکات. لەتەوەری یەکەمدا، دژیەکی ووشە بەرامبەر ووشەی (فەرهەنگی و واتایی)، دەگرێتە خۆی، لە تەوەری دووەمیشدا، دژیەکی بەرامبەر یەک، دەخاتە بەر باس و هەردوو جۆرەکەی(فەرهەنگی وسیاقی)، شیدەکاتەوە، هەروها لەتەوەری سێهەمدا، باس لە جۆرە دژیەکێک دەکات، کە زاناو ڕەخنەگرە عەرەبەکانی پێشوو، باسیان نەکردووە، ناومان ناوە(دژیەکی تێکستی)، تیایدا دژیەکەکە، فراوانترە لەو دژ یەکانەی ڕەخنە گرە کۆنەکان باسیان کردووە، کە ڕستەیەک دژی ڕستەیەکی تر، یان نیوەی مەقالەکە لەدژی نیوەکەی تر دەوەستێتەوە، یاخو تێکستێک دژی تێکستێکی تری دەوەستێتەوە، بەدەرخستنی جیاوازی نێوانیان وجیاوازی بۆچوونی کەسایەتییەکان و دژیک وەستانیان. تۆێژینەوەکە، بەپوختەکی باسەکەو دوو پوختە بەهەردوو زمانی کوردی وئینگلیزی و لەکۆتاییشدا، سەرچاوەکان دیاری کراون.

"Aesthetics of Contrast in Al-Rafei's book Wahi Al-Qalam"

Star Mustafa Faqe Muhammed
Arabic Language Department, College of Basic Education, University of Raparin,Rania, Kurdistan Region of Iraq
Email: star.baban@uor.edu.krd

DOI:https://doi.org/10.26750/Vol(7).No(1).paper10 http://journal.uor.edu.krd/index.php/JUR Vol.7. No.1, January.2020

Abstract:

Mustafa Sadiq Al-Rafei is one of the renaissance writers and a famous essay writer who defends his poor people with his essays. This paper (Systematic Contradiction in Al-Rafei Essays) is a study of Al-Rafei's book Wahi Al-Qalam (وحي القلم) which consists of three chapters with more than a thousand pages. It demonstrates his ingenuity of using systematic contradiction along with his artistic ability in adapting intellectual heritage and language in his essays, as well as showing a vast knowledge in his mother language and his people's heritage which make him to be creative rhetorically through adding some aesthetics and rhythm to his texts for grabbing reader's attention and making them aware of the author's intentions.

This study consists of an introduction and three chapters, while the introduction is about arrangement and contradiction. The first chapter studies contrast (Complementary and multiple antonym) and negative statements. Second chapter is dealing with contradiction in which two or more combined words are opposite to another two or combined more words while the individual words are opposite too, and it demonstrates both aspects, complementary and contextual. The third chapter studies another type which scientists and pioneers have not tried, and that can be called textual opposites that go beyond lexical, phrases, or clauses to focus on text to text contradiction throughout its conflicts and contradiction of characters.

And finally, the study is provided with an abstract in both Kurdish and English languages along with the reference list.

Key Words: Contrast, antonym, Wahi al Qalam

المصادر والمراجع

ابن منظور, لسان العرب, تحقيق: عبدالله علي الكبير وآخرون, ط٦, ج٣, دار المعارف بمصر, ١٩٩١/٢٦٣ مادة ضدد.

أبو هلال العسكري, كتاب الصناعتين, منشورات المكتبة العصرية, بيروت ـــ لبنان, ١٩٨٦.

أحمد مطلوب, معجم المصطلحات البلاغية وتطورها, منشورات المجمع العلمي العراقي, بغداد, ١٩٨٧ .

أحمد بن يحيى الثعلب, قواعد الشعر, تحقيق: محمد عبدالمنعم الخفاجي, ط١, مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده, مصر,١٩٤٨.

الجرجاني, كتاب التعريفات, ط١, دار احياء التراث العربي, لبنان ـــ بيروت,٢٠٠٣.

DOI:https://doi.org/10.26750/Vol(7).No(1).paper10 http://journal.uor.edu.krd/index.php/JUR Vol.7. No.1, January.2020

الخطيب القزويني, الايضاح في علوم البلاغة, دار الكتاب العربي, بيروت ـــ لبنان, ٢٠٠٨.

دي.سي ميويك, موسوعة المصطلح النقدي, ترجمة عبدالواحد لؤلؤة, منشورات وزارة الثقافة والاعلام, دارالرشيد للنشر, بغداد ـــ العراق, ١٩٩٢.

السيد أحمد الهاشمي, جواهر البلاغة, , ط١٢, دارالفكر, بيروت,١٩٨٧/ الهامش/٣٦٧ .

د.شفيع السيد, أساليب البديع في البلاغة العربية, رؤية معاصرة, دارغريب للنشر والطباعة, ط١, ٢٠٠٦.

عبدالواحد حسن الشيخ, البديع والتوازي, مكتبة ومطبعة الاشعاع الفنية, مصر,١٩٩٩.

عبدالكريم اليافي, جدلية أبي تمام, دار جاحظ للنشر, وزارة الثقافة والاعلام, بغداد,١٩٨٠.

قدامة بن جعفر, نقد الشعر, ط٣, تحقيق: كمال مصطفى, مكتبة الخانجي, مصر, ١٩٧٨.

كمال أبو ديب, في الشعرية, مؤسسة الابحاث العربية, ط١, بيروت, ١٩٨٧.

موسى ربابعة, جماليات الاسلوب والتلقي, مؤسسة الحمادة للدراسات الجامعية, إربد ـــ الاردن, ٢٠٠٠.

محمد الهادي الطرابلسي خصائص الاسلوب في الشوقيات, منشورات الجامعة التونسية, تونس/١٩٨١.

محمد خليل الخلايلة, شعرية التضاد, مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية, مجلد٢, ع١, الجامعة الاردنية, كلية الاداب/ ٢٠١٥ .
محمد داود, العربية وعلم اللغة الحديث, دار الغريب للطباعة والنشر, القاهرة,٢٠٠١.

د.محمد العبد, المفارقة في النص القرآني, دراسة في بنية الدلالة, ط١, دار الفكر العربي,١٩٧٤.

د.مسارع حسن الراوي, مكونات الطبيعة البشرية عبر التاريخ وموقف الاسلام من الانسان, دار الياقوت للطباعة والنشر, ط٢, ٢٠٠٦/.

مصطفى صادق الرافعي, وحي القلم, ج١, ج٢, ج٣, المكتبة العصرية, صيدا ـــ بيروت, ٢٠١٥.

نعمان بوقرة, قراءة سيميائية في طوق الحمامة لابن حزم, مجلة جذور, النادي الادبي الثقافي, ع١٢, السنة٦.

DOI:https://doi.org/10.26750/Vol(7).No(1).paper10 http://journal.uor.edu.krd/index.php/JUR Vol.7. No.1, January.2020